دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تعديل السلوك كمدخل لتنمية العشوائيات
المصدر:	المجلة الاجتماعية القومية
الناشر:	المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية
المؤلف الرئيسي:	نصر، سميحة
المجلد/العدد:	مج46, ع3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	35 - 68
رقم MD:	1042403
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	مصر، التنمية الاجتماعية، السكن العشوائي، التخطيط العمراني، التنمية الحضرية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1042403

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تعديل السلوك كمدخل لتنمية العشوائيات

سميحة نصر *

تهدف هذه الورقة إلى التعرف على المداخل المختلفة فى تغيير السلوك والتوصل إلى مدخل ملائم يمكن أن يكون مفيدا فى تعديل وتنمية العشوائيات فى مصر ، ومن ثم تفترض أيضا أن مدخل تعديل السلوك سوف يكون مفيدا فى العمل على دمج سكان المناطق العشوائية فى المجتمع وتحقيق قدر من التكامل والاندماج . ومن ثم فقد حاولت الورقة التوصل إلى الاستراتيجيات المختلفة التى يمكن استخدامها فى تغيير السلوك وتدعيم السلوكيات الإيجابية القائمة بالفعل لدى قاطنى هذه المناطق .

مقدمة

ارتبط التحضر فى مصر ، وفى دول كثيرة من العالم النامى ، بتزايد المناطق الحضرية التى عرفت بالمناطق العشوائية ، والتى تتسم بعدم النظام ، وعدم الالتزام بالقانون فى البناء أو المرافق ، وعلى نحو يعرضها للكثير من المشاكل[1].

وقد شهدت المدينة المصرية تغيرات كبيرة لمواكبة الزيادة السكانية ، فزادت رقعتها العمرانية بشكل غير متوافق مع ملامحها وخصائصها الحضرية ، فتعددت التجمعات العمرانية العشوائية المتخلفة التى مثلت بتواجدها وجهاً عمرانياً قبيحاً فى الشكل والمضمون يسىء لحضارة المدينة [2] .

وتنتشر العشوائيات فى جمهورية مصر العربية انتشاراً متزايداً بسبب عوامل ، منها الهجرة من الريف إلى الحضر ، وتوافر المسكن بسعر مناسب

* أستاذ علم النفس ، رئيس شعبة بحوث الجريمة والسياسة الجنائية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

بالمقارنة بأسعار السكن فى المدن [٣] . وعلى الرغم من وجود اختلاف فيما بين الجهات الرسمية حول عدد المناطق العشوائية ، فإن أدق التقديرات تشير إلى أن عدد المناطق العشوائية فى مصر يقدر بنحو ١٠٣٤ منطقة عشوائية فى ٢٠ محافظة يسكن بها نحو ١٧ر٧ مليون نسمة ، وتحتوى القاهرة الكبرى وحدها على ٧٦ منطقة عشوائية بمساحة ٢٢ كيلو مترا مربعا يسكنها أكثر من ٢ مليون نسمة . وتؤكد الإحصاءات – أيضاً – أن المناطق العشوائية المطلوب إزالتها على مستوى الجمهورية تبلغ ٨١ منطقة والمناطق المطلوب تطويرها ٨٨ منطقة [٤] .

وتعانى المناطق العشوائية من مشاكل كثيرة ، فهى مناطق متردية حضرياً بها نقص كبير فى المرافق والخدمات التعليمية والصحية [٥] ، كما أنها تعانى من انتشار الكثير من السلوكيات المنحرفة الناتجة عن ازدياد معدلات الفقر والبطالة والتزاحم السكانى والجريمة [٦] . فقد أوضحت عديد من الدراسات ارتباط معظم المناطق العشوائية بانتشار الجريمة باعتبارها بيئة مناسبة لتفريغ الإجرام والمجرمين ، ومركز تصدير الجريمة بمختلف أنواعها . وقد أشار بعض الدراسات إلى أن عناصر الجماعات المتطرفة فى مصر كانت تحرص على الاحتماء بالأحياء العشوائية داخل القاهرة الكبرى بعد ارتكابها لعمليات تخريبية [٧] .

ومن السلوكيات المنحرفة المنتشرة بهذه المناطق أيضاً العنف ، وتعاطى المخدرات ، حيث أصبحت المناطق العشوائية مكاناً للخارجين على القانون والمتاجرين بالمخدرات ، ونقطة جذب لكثيرين من أصحاب حالات الفساد الاجتماعى ، بالإضافة إلى أن هذه المناطق أصبحت مصادر إزعاج للأحياء المجاورة لها [٨] . وبدأت العشوائيات تشكل مشكلة أمنية تحول دون التحكم فيها أو ضبطها من قبل الأجهزة الأمنية ، وقد تتحول تلك المناطق إلى بؤر للعنف والتطرف والإرهاب [٩] .

وغالباً ما تنتشر فى هذه المناطق ثقافة خاصة يمكن وصفها بأنها ثقافة تتأسس على العزلة ، والميل نحو مقاومة السلطات ، واللامعيارية ، ومخالفة

القانون ، أو ما يطلق عليها البعض بثقافة التحايل [١٠] . ومما سبق يتضح أن مشكلة العشوائيات ليست مشكلة سكانية فحسب ، بل هى مشكلة اجتماعية ونفسية مركبة .

ولقد اهتمت دول عديدة بمحاولة التصدى لهذه المشكلة – ومنها مصر – حيث اهتمت الدولة بتطوير المناطق العشوائية ، وتركزت خطط التطوير على الجوانب السكنية والخدمية ، فى حين أهملت هذه الخطط المدخل السلوكى الذى ينظر إلى العشوائيات على أنها مجموعة من البشر ، وأن المشكلة التى يعيش فيها هؤلاء البشر أسهموا هم أنفسهم فى خلقها، بجانب الظروف الخارجة عن إرادتهم بطبيعة الحال . ومن ثم ، فإن خطط تطوير العشوائيات لابد وأن تشتمل على خطط وبرامج تساعد فى التنمية البشرية الحقيقية لسكان هذه المناطق عبر تغيير ثقافتهم الخاصة ، أى تغيير اتجاهاتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وقيمهم وأساليب سلوكهم .

ومن هنا ظهرت فكرة هذه الورقة التى تتخذ من المدخل السلوكى نقطة انطلاق ، وتفترض أن تغيير سلوك البشر أو تعديله ربما يكون ضرورياً فى عملية تنمية حياتهم وتغيرها نحو الأفضل . ومن ثم ، تفترض – أيضاً – أن مدخل تعديل السلوك سوف يكون مفيداً فى العمل على دمج سكان المناطق العشوائية فى المجتمع ، وتحقيق قدر من التكامل والاندماج بين ثقافتهم وثقافة المجتمع بشكل عام .

وفى ضوء هذه الفرضية ، تهدف هذه الورقة إلى التعرف على المداخل المختلفة فى تغيير السلوك ، والتوصل إلى مدخل ملائم يمكن أن يكون مفيداً فى تنمية المناطق العشوائية فى مصر ، وكذلك التعرف على أهم الاستراتيجيات أو الآليات التى يمكن استخدامها فى تغيير السلوك ، وتدعيم وتعزيز السلوكيات الإيجابية القائمة بالفعل لدى قاطنى هذه المناطق .

وسنتناول فى عرضنا لهذه الورقة المحاور التالية :

١ – مفهوم العشوائية والمشكلات المرتبطة بالمناطق العشوائية :

أ – المشكلات الاجتماعية .

ب – المشكلات البيئية .

جـ – المشكلات الاقتصادية .

٢ – مفهوم التنمية .

٣ – مداخل تنمية العشوائيات :

أ – مدخل التمكين المستدام .

ب – مدخل تأهيل المناطق العشوائية .

جـ – مدخل الارتقاء الحضرى .

٤ – تعديل السلوك كمدخل لتنمية العشوائيات .

أولاً : مفهوم العشوائية والمشكلات المرتبطة بالمناطق العشوائية

١- مفهوم المناطق العشوائية

تعتبر المناطق الخاضعة لقوانين التنظيم مناطق رسمية منظمة – حسب الأنظمة العمرانية الحديثة فى عالمنا المعاصر – أما خلاف ذلك فيعتبر إسكانا عشوائيا ، كأن يقام أى بناء على أرض خارج حدود التنظيم ، ولا يلتزم بأحكام تنظيمية سواء كان حضريا أو ريفيا . ويحدد قانون التخطيط العمرانى المصرى المنطقة العشوائية بأنها "تلك المنطقة التى تعانى من التزاحم السكانى وتكون أغلب مبانيها متخلفة ومتهالكة ، ويلزم إزالتها ، أو إعادة تخطيطها ، أو تعميرها من جديد ، وتفتقر إلى المرافق والخدمات الأساسية [١١] .

وهناك بعض الاختلافات فى إطلاق لفظ العشوائية للمناطق السكنية بين المخططين والمفكرين فى هذا المجال ، حيث إن الكثيرين يؤكدون على ضرورة التمييز بين السكن المخالف للقوانين وبين التجمعات السكنية الكبيرة التى تظهر

كنتيجة لكوارث طبيعية أو سياسية أو غيرها من الأسباب الطارئة ، والتى تؤدى بالتالى إلى ظهور تجمعات سكنية تعتمد على مواد بناء رديئة ذات عمر افتراضى قصير نسبياً ، وغير ملائمة صحياً وبيئياً، فضلاً عن كونها تخلو من الحد الأدنى من الخدمات الأساسية المتمثلة فى الكهرباء والماء والصرف الصحى أو الخدمات الهامة ، مثل المدارس والمستوصفات وملاعب الأطفال ومواقف السيارات والمناطق المفتوحة ... إلخ [١٢] .

ويستخدم البعض مفهوم المناطق العشوائية ليشير إلى مناطق التخلف العمرانى ، والتى هى عبارة عن المساحة التى تحتوى على مبان متهالكة ، أو متدهورة ، أو قديمة ، أو على مساحات أراض صغيرة لا تكفى لبناء مسكن مناسب عليها ، أو لا تفى بمتطلبات حركة المرور ، أو على استعمالات أراض متداخلة ومتنافرة [١٣] . وهى تشكل خطراً على المدينة القائمة نتيجة تعدد مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والبيئية .

ومن ثم ، فإن مفهوم العشوائية العمرانية أو السكنية مفهوم واسع وغير ثابت ، يرمز – فى معظم الأحيان – إلى عدم توافر الحد الأدنى من الخدمات الأساسية فى هذه التجمعات السكنية ، بالإضافة إلى عدم تحقق المستوى الأدنى من الجودة ، والتى تعتبر ضرورية لتحقيق الحد اللازم من شروط الراحة والصحة والأمان .

ويمكن تقسيم المناطق المتدهورة والمتخلفة عمرانياً والعشوائية بشكل عام إلى ثلاثة أنواع هى : المدينة القديمة ، ومناطق الامتداد العشوائى ، والقرى الملتحمة بالمدينة [١٤] .

وعلى أية حال ، فالإسكان العشوائى يعرف بأنه "ظاهرة نمو الإسكان الشعبى الحر ، وذلك من منطلق محايد ، نشأ بإرادة كاملة للشعب ، وينمو طبقا لأنماط محددة ومتكررة ، ولا تتغير تقريباً، سواء بالنسبة لتخطيطها الخطى أو عروض شوارعها، أو أبعاد قطع الأراضى بها". وقد استعمل التعبير

غير الرسمى لكونه بدون ترخيص . ويمكن تعريف الإسكان العشوائى بأنه "نمو مجتمعات وإنشاء مبان ومناطق لا تتماشى مع النسيج العمرانى للتجمعات التى تنمو بداخلها، أو حولها ، ومتعارضة مع الاتجاهات الطبيعية للنمو والامتداد، وهى مخالفة للقوانين المنظمة للعمران ، ويتم تشييدها على أطراف المدينة ، وهى غير مخططة ، وغير خاضعة للتنظيم ، ولا يسمح بالبناء عليها" [١٥] .

ويرى الباحثون أن هناك مجموعة من الأسباب ساهمت فى نشوء السكن العشوائى ليس فى مصر فقط بل فى كثير من دول العالم النامى نذكر منها :

- غياب نظام تخطيطى متكامل وقادر فى نفس الوقت على معالجة مشكلات الإسكان الوطنية والمحلية [١٦] .
- قصور فى قوانين وآليات التخطيط التنظيمية .
- الهجرات المستمرة وغير المنظمة من الريف إلى المدينة بسبب تغير الأنماط الاقتصادية وطبيعة الإنتاج القومى .
- تردى الأوضاع الاقتصادية لدى المواطنين .
- ضعف دعم الدولة لقطاع الإسكان العام المخصص لذوى الدخول المتدنية .
- عدم اتباع سياسة تتعلق بتنظيم الملكيات الخاصة للأراضى ، مما ينجم عنه ارتفاع أسعار الأراضى مصحوبا بارتفاع أسعار مواد البناء وأجور العمال .
- قلة الأراضى الحكومية وغلبة الملكيات الخاصة [١٧] .

٢- مشكلات المناطق العشوائية

ولقد تنوعت المشكلات التى أدت إلى ظهور السكن العشوائى تنوعا كبيرا ، وتمثلت هذه المشكلات فى مشكلات اجتماعية ومشكلات بيئية ، ومشكلات اقتصادية نعرض لها باختصار فيما يلى :

أ – المشكلات الاجتماعية

عند إلقاء نظرة متعمقة للتجمعات التى تخلو من الخدمات الاجتماعية والتى لا ترتبط بنظام داخلى يحدد من قبل القاطنين فيه (كما يحدث فى المناطق

العشوائية) ، فإن ذلك ينعكس على سلوك الأفـراد وعلاقتهم مع بعضهم البعض . وقد أثبت الكثيـر من الدراسات والإحصاءات أن هذه المناطق هى الأكثر عرضة لوقوع الجرائم ، والاتجار بالمخدرات ، وارتفاع نسب الأمية والطلاق[١٨].

ب – المشكلات البيئية

تتمثل هذه المشكلات فى عدم وجود أنظمة صرف صحية لنقل مخلفات الإنسان السائلة والصلبة إلى أماكن بعيدة عن التجمعات السكنية ، وينجم عن ذلك معالجات ضارة بالبيئة ، مثل إلقاء النفايات فى مواقع قريبة من المبانى السكنية ، أو استخدام حُفر امتصاصية تساهم فى تلويث المياه الجوفية بنسب عالية من البكتريا والنيترات ؛ مما يجعلها خطراً على صحة الإنسان ، بالإضافة إلى التلوث الجوى والسمعى ، وتداخل النشاطات الصناعية والورش مع المساكن [١٩].

جـ – مشكلات اقتصادية

لاشك أن التجمع العشوائى يتنافى مع التخطيط الاقتصادى الاستراتيجى الذى يبنى عادة على مبدأ العلاقات بين النشاطات الاقتصادية وبين التجمعات البشرية وأماكن تواجدها من حيث العدد والمساحة . ولا ينطبق هذا المبدأ على المناطق العشوائية القائمة فى مصر الآن ، حيث إننا نادراً ما نجد انسجاماً بين التجمع العشوائى مع أماكن العمل بنسبة كبيرة من القاطنين فى هذا التجمع . فالتجمع العشوائى يمكن أن يكون على حساب أراض زراعية ، أو على حساب خطة قومية قد تتعلق بسيناريوهات توزيع التجمعات السكانية حسب استراتيجية اقتصادية معينة [٢٠].

ثانياً: مفهوم التنمية وأهم المداخل الخاصة بالتنمية

١- مفهوم التنمية

التنمية بوجه عام هى التفاعل بين البشر وبين الموارد المتاحة لهم ، أى استغلال البشر لمواردهم . والتنمية المستدامة هى عملية نقل المجتمع من الأوضاع القائمة

إلى أوضاع أكثر تقدماً لتحقيق أهداف محددة تسعى أساسًا لرفع مستوى معيشة المجتمع ككل ، من كافة جوانبه عمرانياً واجتماعياً واقتصادياً ، وذلك فى إطار الموارد المتاحة لمواطنيها . فالتنمية يجب أن تُتيح للمواطنين ما يلى :

- مسكن آمن للمواطن وأسرته ويشعر فيه بخصوصيته ، وتتسع مساحته لحياة أفراده ، سليم البناء ، وصحى ، ومستقر فى إطار تخطيط عمرانى محلى متصل بشبكات الخدمات الأساسية ، ويسهل الوصول إليه والاتصال به .
- عمل مستقر شريف يُتاح فيه للفرد فرص التقدم والارتقاء بقدر سعيه واجتهاده وثقافته ، ويحقق له دخلا مستقرا يغطى نفقات معيشة أسرته ، ويدخر جانبا منه لمواجهة الاحتياجات المستقبلية .
- منظومة بيئية متوازنة محمية من الاستنزاف والتلوث .
- منظومة ثقافية مبنية على قيم تحافظ على الهوية وتقبل الارتقاء بالحس ، والإدراك ، والذوق ، وتقبل الجديد من التقنيات الملائمة ، وتقدر العلم والموهبة والنقد ، وترسخ المسئولية المجتمعية .
- منظومة إدارية للمجتمع توسع الخيارات المتاحة للمواطنين، وتضمن حقوقهم فى الممارسة العملية لاختياراتهم طالما التزمت بالقوانين ، خالية من الفساد ، وتعمل بشفافية ، وقابلة للمساءلة المجتمعية ، وإمكان تداول السلطة القائمة عليها ، وتتصف باللامركزية الأصلية وليس المفوضة .
- آليات فاعلة للمشاركة الشعبية ، تتكافأ فيها الفرص للمشاركة أمام كل المواطنين مهما تنوعت خصائصهم وصفاتهم ، وتؤمن عمق مضمون هذه المشاركة ، لتشمل التفكير فى الاحتياجات المحلية وترتيب أولوياتها، والتخطيط للتغيير ، وتمويل برامجه ومشروعاته ومتابعة تنفيذها وتقويمها، وتدار بكفاءة وعدالة وشفافية ، وتضمن أساليبها تداول السلطة فيها دون احتكار المحترفين [٢١] .

وتهدف التنمية العمرانية – بشكل عام – إلى الارتقاء بالمجتمعات العمرانية القائمة من خلال الاستفادة بالإمكانات المتاحة ، وبمواكبة التطورات الحضرية ، وتوفير احتياجات السكان من العناصر التخطيطية ، وإرساء المعايير المعيشية المناسبة لهم ، مع الارتقاء بالمنتجات العمرانية الإيجابية ، والتقليل من السلبية . وتعد عملية التنمية عملية مستمرة تدفعها الدراسات التخطيطية والإمكانات العينية والمادية ، وتتفاعل مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية والبيئية للمجتمع [٢٢] . ومن ثم ، فعملية التنمية العمرانية هى العملية التى بمقتضاها يتم تحسين شبكات البيئة الأساسية (طرق ، شبكات مياه ، صرف صحى ، كهرباء ، غاز ... إلخ) ، وتحسين الشكل المعمارى وتطويره وإصلاح المبانى القائمة ، وتطوير التشكيلات البنائية ، وتنسيق المواقع وتحسينها ، فضلاً عن تحقيق الارتقاء بالإنسان الذى يصمم ويستخدم المبانى بسلوكياته وعلاقاته وعاداته وتقاليده [٢٣] .

ويعتبر تحقيق التنمية المستدامة الهدف الأساسى لتنمية المجتمعات العمرانية بشكل عام والعشوائية بشكل خاص ، ويتطلب ذلك إيجاد مداخل ومفاهيم مستحدثة يمكن تبنيها ورسم استراتيجيات يمكن تنفيذها عملياً بطريقة فعالة [٢٤] . ومن أهم المداخل التى تم استخدامها فى التنمية ما يلى :

٢- مداخل تنمية المناطق العشوائية

قبل الشروع فى تناول المداخل المختلفة التى قدمت لتطوير وتنمية المناطق العشوائية ، لتحديد المدخل الذى تتبناه الدراسة الراهنة "وهو مدخل تعديل السلوك" ، سنشير إلى الفرضية الأساسية التى ربما تكون أساس أى تفكير فى تنمية المناطق العمرانية ، والتى تتحدد فى "أن الطبيعة الجغرافية للمكان وأيكولوجية هذا المكان يشكلان طبيعة النمط العمرانى فيه ، والذى يعمل على إشباع الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء البشر قاطنى هذه المنطقة ، من مأوى ومأكل ومشرب وتزاوج وعمل ... إلخ ، ومن ثم يحاول الأفراد خلق

أدوات للتكيف مع هذه المنطقة ومحاولة تطويع هذه الطبيعة". ومن ثم أشار الباحثون إلى أن أى تنمية مشروطة بطائفة من العوامل ، أولها العوامل البيولوجية ، وثانيها العوامل الجغرافية ، ثم العوامل الاقتصادية ، وأخيراً العوامل الاجتماعية متمثلة فى الثقافة الخاصة لسكان هذه المناطق[٢٥].

فى ضوء هذه الوجهة من النظر تعددت المداخل والرؤى العلمية لإحداث تنمية حضرية مستدامة بالمجتمعات العمرانية بشكل عام والعشوائيات بشكل خاص ، وكان من أهم هذه المداخل الخاصة بتنمية العشوائيات ما يلى :

أ – مدخل التمكين المستدام Sustainable empowerment

ويعنى هذا المدخل تمكين المجتمع فى منظومة التنمية العمرانية ، بمعنى إتاحة الفرصة للمجتمع للقيام بدور فعال فى جميع مراحل عملية التنمية ، بكل من الجوانب العمرانية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية من حيث اتخاذ القرار، والتخطيط ، والمتابعة ، والتقييم . ويعتبر التمكين المستدام من أهم مداخل تنمية المجتمعات العمرانية ، حيث يدرك هذا المدخل أهمية تلبية الاحتياجات الحالية للسكان ، مع مراعاة متطلبات الأجيال المستقبلية [٢٦] . وتتكون عملية التمكين من ثلاث مراحل هى : البدء ومنح السلطة ، وتنظيم المجتمع ، وتواصل تنمية المجتمع [٢٧] . وقد أثبتت الدراسات أن مدخل التمكين أداة فاعلة فى تحقيق عمليات التنمية الحضرية المستدامة من خلال تعزيز دور المجتمع كطرف فعال فى عمليات التنمية العمرانية [٢٨] .

ب – مدخل تأهيل المناطق العشوائية

ويعنى هذا المدخل بمحاولة تزويد المناطق بخدمات البنية التحتية والخدمات الاجتماعية اللازمة . وبناء وحدات سكنية رخيصة التكاليف ، مع مراعاة إقرار طبيعة التدخل فى التجمعات العشوائية ، واللجوء إلى إبقاء الناس فى نسيجهم السكانى (قدر الإمكان) ، وإحداث عملية التأهيل بطريقة تدريجية . ويتم ذلك من خلال إعادة تنظيم البنية التحتية والخدمات وتأهيل المبانى السكنية ، مع مراعاة

شبكة الطرق والممرات الأصلية ، وموقع كل وحدة سكنية فى وضعها الطبيعى . وهذا المدخل يدعو له الكثير من الباحثين والخبراء المعنيين بقضايا السكن العشوائى . وقد لوحظ أن الخبرات المنظمة لتأهيل المبانى السكنية يقوم بها الأفراد أنفسهم بتأهيل مبانيهم السكنية [٢٩] .

جـ – مدخل الارتقاء الحضارى

وهذا المدخل لا يعنى فقط بتزويد هذه المناطق بخدمات البنية التحتية والخدمات الاجتماعية اللازمة ، ولكنه يتضمن – أيضاً – إعادة تخطيط هذه المناطق لإنعاش المنطقة والمجتمع من جهة ، ووضع استراتيجية تعمل على ربط هذه التجمعات بخطة شاملة من جهة أخرى ، هذه الخطة يجب أن توفق بين التجمعات السكنية والانتاجية فى إطار اقتصادى لرفع المستوى العام الذى يشمل النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية [٣٠] .

وقد قسم الباحثون عملية التنمية من خلال الارتقاء الحضرى إلى مستويين : أولهما الارتقاء النوعى (وهو نوع من أنواع التنمية والارتقاء الجزئى بالمدينة أو بأحد قطاعاتها العمرانية ، يركز على الارتقاء بالبنية الأساسية أو بالخدمات الاجتماعية أو بالكتلة المبنية) . والثانى الارتقاء الشامل والذى يشتمل على تنمية وتطوير المجتمع ذاته اجتماعياً واقتصادياً بناء على البحوث والدراسات البيئية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية للمنطقة المطلوب تجديدها أو تحسينها أو إزالتها [٣١] .

ومن ثم ، فإن هذا المدخل المستخدم للتعبير عن شمولية التطوير البنائى والاقتصادى والاجتماعى يضمن إطارا لمعالجة مشكلة السكن العشوائى بشكل جذرى وفعال . وتؤكد بعض الدراسات على أهمية هذا المدخل فى تطوير المناطق العشوائية حيث يمكننا هذا من التعامل مع المناطق العشوائية كواقع قائم تلزم معالجته من خلال انخراطه المقبول بالنسيج العام واستبدال الصورة السلبية العالقة فى ذهن أفراد المجتمع حول هذا النوع من التجمعات ،

سواء من ناحية معنوية أو من ناحية مادية [٣٢] .

وبالنظر فى المداخل السابقة لتنمية العشوائيات ، يمكن أن نقف على مجموعة من الملاحظات الأساسية التى يجب وضعها فى الحسبان عند القيام بأى تغيير أو تعديل أو تنمية للمناطق العشوائية فى مصر . ومن هذه الملاحظات ما يلى :

١ - إن عملية تغيير هذه المناطق ينبغى ألا تكون عملية قسرية تنصب على هذه المجتمعات من أعلى ، بل يلزم تحديث المكان بناء على رغبات أصحابه واحتياجاتهم الفعلية [٣٣] .

٢ - أن تسير عمليات التنمية القسرية بطريقة منظمة لا تعتمد على خطط قصيرة الأمد ، هدفها التسكين ولكن يكون بهدف الحل الجذرى لهذه المشكلات .

٣ - العمل على خلق هذا النمط من التنمية المتضمن عوالم متجاورة مندمجة تنصهر فى بوتقة واحدة تجعل من الكل فى واحد بهدف إحداث التنمية .

٤ - تتجاوز مشكلة المناطق العشوائية مجرد توفير مأوى للإنسان لتصل إلى النهوض بدور اجتماعى أساسى فى الحياة الحضرية ، فينبغى النظر إلى المسكن باعتباره إطارا للعلاقات الأسرية ، والتنشئة الاجتماعية ، وسياق الجيرة . فمشكلة العشوائيات ليست هى المسكن فقط ، بل هى المسكن والجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المحيطة بهذا المسكن .

٥ - التعامل مع العشوائيات باعتبارها نمطا واحدا ، وتجاهل أن كل منطقة عشوائية تتسم بخصوصية تجعل من الصعب وجود نمط واحد ، أو نموذج أمثل لتطوير العشوائيات . وبالتالى فمهمة البحث العلمى هى عرض رؤى سكان العشوائيات نحو تطوير هذه المناطق ، وطرح بدائل للتطوير تحاول التوفيق بين رؤى السكان والسياسات الحكومية المطروحة [٣٤] .

وفى ضوء ما سبق ، تتضح أهمية المدخل الحالى للدراسة ، وهو مدخل تعديل السلوك ، والذى يستهدف فى الأساس "البشر" ، فتطوير وتنمية قدرات البشر يزيد من فرص التنمية ، بمعنى زيادة "نطاق الخيار الإنسانى" ، وتهيئة أسباب سيطرة الإنسان على بيئته ومقدراته وقدراته لبناء حاضره ومستقبله ، من واقع الشعور بالمسئولية الإيجابية الحرة ومسئولية الانتماء الاجتماعى [٣٥] . ومن ثم ، خلق ظروف جديدة لتوليد تغيير سريع فى بناء إنسان جديد ، وتعديل سلوكيات الأفراد ، وزيادة قدراتهم . ويعد مدخلا ملائما للحد من مشكلات العشوائيات فى مصر وتطوير وتنمية العشوائيات ، وهو ما سنتناوله فى صفحاتنا التالية .

ثالثا : المدخل السلوكى كمدخل لتنمية العشوائيات

١- اهمية المدخل السلوكى فى تنمية العشوائيات

حققت تكنولوجيا تعديل السلوك فى العقود الأربعة الماضية نجاحاً هائلاً فى ميادين شتى ، منها ميدان التربية ، والعلاج ، والسلوكيات الشاذة وغير المقبولة اجتماعيا ... إلخ . وعلى وجه التحديد ، فقد قدمت تكنولوجيا تعديل السلوك استراتيجيات فعالة للتدخل العلاجى والنفسى الاجتماعى والتربوى يمكن توظيفها بنجاح وبسهولة نسبيا لتشكيل السلوك التكيفى ، وإزالة أو الحد من السلوكيات غير التوافقية . وكان لهذا النجاح الذى حققه المدخل السلوكى أثر بالغ فى تغيير المنظومات المعرفية والقيمية والسلوكية لأفراد المجتمع .

ويتجه مدخل تعديل السلوك إلى تغيير المنظومات المعرفية والسلوكية للأفراد ، وتوجيه سلوكهم نحو تحقيق غايات إيجابية تعتمد على المبادأة ، والمشاركة ، والتوافق مع القيم العامة للمجتمع . ويكتسب هذا المدخل أهميته من عدة وجوه : أولها أنه يتجه مباشرة نحو تغيير البشر الذين يصنعون

الأحداث ، والذين تُكون أفعالهم مجمل التفاعلات والعلاقات الاجتماعية . فهؤلاء البشر هم عماد التنمية والتقدم ، بل إن التنمية نفسها تستهدف فى المقام الأول تنمية قدرات هؤلاء البشر ، وإمكاناتهم ، ومن ثم فإن تغيير المحيط الفيزيقى والبيئى والوسط الاقتصادى لهؤلاء البشر – وهى الجوانب التى تهتم بها المداخل الأخرى – لن يكون بحال كافياً لتغيير هؤلاء البشر إذا لم يكونوا قادرين على تغيير منظوماتهم المعرفية وما يرتبط بها من سلوك ، وتوجيهها نحو مزيد من الإيجابية والمشاركة . وتلك هى المهمة المنوطة بمدخل تعديل السلوك .

٢ - مفهوم تعديل السلوك Modification of Behaviour

تعديل السلوك هو فرع من فروع علم النفس التطبيقية يتضمن التطبيق المنظم للإجراءات المستندة إلى مبادئ التعلم ، بهدف تغيير السلوك الإنسانى ذى الأهداف الاجتماعية ، ويتم ذلك من خلال تنظيم أو إعادة تنظيم للظروف أو المتغيرات البيئية ذات العلاقة بالسلوك ، وبخاصة التى تحدث بعد السلوك . كذلك تشتمل على تقديم الأدلة على أن تلك الإجراءات وحدها ولاشئ غيرها هى التى تكمن وراء التغير الملاحظ فى السلوك [٣٦] . ويثير مفهوم تعديل السلوك جدلاً فى أوساط المتخصصين فى علم النفس ، فليس هناك تعريف واحد وإنما تعريفات متعددة لهذا المفهوم ، فهناك من يستخدم المصطلح للإشارة إلى قوانين الاشتراط الإجرائى أو الاشتراط الكلاسيكى ؛ وهناك من يستخدمه للإشارة إلى قوانين التعلم بعامة . ومن الخطأ استخدام تعديل السلوك للإشارة إلى كل الأساليب التى يمكن استخدامها للتأثير فى سلوك البشر ؛ لأن تعديل السلوك لا يعد فقط إحداث تغيير فى السلوك أو محاولة التأثير فيه ، بل هو محاولة تحسين لأداء الفرد بشكل عام من خلال تحسين الضبط الذاتى ، وتحسين مهارات الفرد وقدراته ، ورفع مستوى استقلاليته ، وقدراته على تنظيم وتطوير ذاته [٣٧] .

ويقصد بتعديل السلوك تغيير السلوك عن طريق تغيير الظروف البيئية المحيطة . ويرى بعض الباحثين أن تعديل السلوك هو العلم الذى يشتمل على

التطبيق المنظم للأساليب التى انبثقت عن القوانين السلوكية وذلك بغية إحداث تغيير جوهرى ومفيد فى السلوك الاجتماعى [٣٨] .

إن تغيير السلوك غير المرغوب فيه بطريقة مدروسة هو نوع من العلاج السلوكى الذى يعتمد على التطبيق المباشر لمبادئ التعلم، والتدعيمات الإيجابية والسلبية بهدف تعديل السلوك المرغوب فيه ، وإحداث تغيير فى سلوكيات الأفراد المعرفية والاجتماعية ، وذلك بتعليمهم نماذج سلوكية جديدة ، أو تخليهم عن بعض ما يسلكونه منها، أو صيانتها ، أو تقويتهم للبعض الآخر[٣٩] .

ويعرف تعديل السلوك أو تغيير السلوك إجرائياً بأنه "عملية تقوية السلوك المرغوب به من ناحية ، وإضعاف أو إزالة أو إطفاء السلوك غير المرغوب به من ناحية أخرى [٤٠] .

٣ - الأهداف العامة لتعديل السلوك

أ – مساعدة الفرد على تعلم سلوكيات جديدة غير الموجودة .

ب – مساعدة الفرد على زيادة السلوكيات المقبولة اجتماعياً والتى يسعى الفرد إلى تحقيقها.

جـ – مساعدة الفرد على التقليل من السلوكيات غير المقبولة اجتماعياً ، مثل : التدخين ، والإدمان ، وتعاطى الكحول ... إلخ .

د – مساعدة الفرد على حل المشكلات .

هـ – مساعدة الفرد على أن يتكيف مع محيطه وبيئته الاجتماعية .

و – مساعدة الفرد على التخلص من مشاعر القلق والإحباط والخوف .

وإذا ما تحققت هذه الأهداف فإن السلوك يتغير وفقاً لواحدة أو أكثر من الأوجه التالية :

- زيادة احتمالات ظهور السلوك المرغوب فيه .
- تقليل احتمالات ظهور السلوك غير المرغوب فيه .

- إظهار نمط سلوكى ما فى المكان والزمان المناسبين .
- تشكيل سلوك جديد ، مثل تعلم شىء جديد .

٤- خطوات تعديل السلوك

أ – تحديد السلوك المراد تعديله أو تغييره .

ب – قياس السلوك المستهدف وذلك بجمع ملاحظات وبيانات حول السلوك المطلوب تعديله .

جـ – تحديد الظروف السابقة والمحيطة بالأفراد عند حدوث السلوكيات المطلوب تعديلها .

د – تصميم خطة تعديل السلوك وتنفيذها ، على أن يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الذين وضعت الخطة من أجلهم ، وتتضمن هذه الخطة تحديد الأهداف ووضع الأساليب الفنية الخاصة بالتعديل .

هـ – تقديم فاعلية الخطة وتلخيص النتائج وتقديمها إلى من يهمه الأمر [٤١] .

٥- أساليب تعديل السلوك

تهدف أساليب تعديل السلوك إلى تحقيق تغييرات فى سلوك الفرد لكى يجعل حياته وحياة المحيطين به أكثر إيجابية وفاعلية . ومن هذه الأساليب : التعزيز، والعقاب ، والتشكيل [٤٢] .

ومما سبق يتضح الدور الهام الذى يقوم به تعديل السلوك فى إحداث أشكال جديدة من السلوك تتسم بقدر من القبول الاجتماعى ، وتسهم فى سعادة الفرد ، ومن ثم تطوير وتنمية المجتمع . ونحاول فيما يلى توضيح المنحنى الذى تتبناه الدراسة الحالية (النظرية التكاملية) فى تعديل سلوك سكان العشوائيات .

٦- النظرية التكاملية فى تعديل سلوك سكان العشوائيات

يرتكز منحنى تعديل السلوك على مجموعة من المفاهيم والمبادئ التى تتضمنها النظرية السلوكية فى علم النفس ، والتى سبق أن عرضنا لها عبر هذه الورقة حول مفهوم تعديل السلوك وأساليبه . ونحاول فى هذا الجزء أن نقدم – بشكل مبسط المنحى النظرى الذى تتبناه الدراسة الحالية فى تعديل سلوك الأفراد فى المناطق العشوائية ، وقد أطلقنا على هذا المنحى اسم "النظرية التكاملية فى تعديل السلوك" Transtheoretical model of behaviour change .

وقد قدم هذه النظرية بورشوسكا Prochoska وديكلمينتى Diclemente سنة ١٩٨٣ باعتبارها من أفضل المناحى النظرية فى تعديل السلوك بشكل عام [٤٣] . وتقوم النظرية الحالية فى مجال علم النفس السلوكى والعلاجى وبشكل خاص النظريات التى اهتمت بتعديل السلوك بشكل عام وسلوك الجماعات بشكل خاص [٤٤] .

ونحاول فيما يلى توضيح هذه النظرية وكيف تسهم فى تغيير وتعديل المناطق العشوائية (التضمينات الإمبريقية للنظرية) .

أ- مراحل تعديل السلوك

ترتكز هذه النظرية – بشكل أساسى – على فكرة محورية مفادها " إن تغيير السلوك يحدث عبر الزمن ، أو بشكل تدريجى كل خطوة فيه تفضى إلى الأخرى". بمعنى أن تغيير السلوك يعد تغييرا ديناميا dynamic change ، ولا يعنى أن التغيير هو الانتقال المباشر من صورة إلى أخرى ، والتى يميل البعض إلى تسميتها "بالكل مقابل لاشىء" [٤٥] "all or nothing phenomenon" ، وعلى هذا الأساس تتكون هذه النظرية من خمس مراحل هى :

- مرحلة ما قبل التأمل Precontemplation stage

ويكون الأفراد الذين نرغب فى تعديل سلوكهم ليسوا على وعى وغير مدركين

للنتائج المترتبة على سلوكهم ، كما أنهم ليس لديهم أية نوايا Intentions لاتخاذ موقف تجاه أوضاعهم الراهنة أو سلوكهم الراهن . وربما يكون لدى الأفراد فى هذه المرحلة محاولات سابقة للتغيير ولكنها محاولات فاشلة خلقت لديهم ميلا لعدم الاستعداد للمحاولة مرة أخرى [٤٦] .

والسمة الأساسية للأفراد فى هذه المرحلة هى إدراكهم لعدم قدرتهم على تحديد أو تعديل السلوك المشكل . وحتى يتحرك الفرد من هذه المرحلة إلى المرحلة التالية لابد أن يمر بخبرة تنافر معرفى Cognitive dissonance ، أو أن يمر بحالة وجدانية سلبية Negative affective state تؤدى به إلى بداية الوعى بأن لديه مشكلة [٤٧] ، وتستمر هذه المرحلة مدة ستة أشهر قبل الدخول فى المرحلة التالية :

- المرحلة التأملية Contemplation stage

وفى هذه المرحلة يتكون لدى الأفراد النية للقيام بتغيير خلال الأشهر الستة التالية [٤٨] . فالأفراد فى هذه المرحلة يقومون بالموازنة بين إيجابيات وسلبيات قيامهم بعمليات تغيير السلوك . وهذا الوعى بالمشكلات المطلوب تغييرها يعمل باعتباره آلية ضرورية لمواصلة عملية التغيير عبر فترات زمنية طويلة . ويقرر الفرد فى مرحلة التأمل والوعى ما إذا كان فى حاجة لتغيير السلوك المرتبط بالمشكلات أم لا ، ويحدد إمكانية أن يسهم هذا التغيير فى تحقيق نواتج إيجابية فى المستقبل [٤٩] .

والسمة الأساسية للأفراد فى هذه المرحلة هى سعى الفرد بجدية نحو إيجاد حلول للمشكلات التى يعانون منها[٥٠] . وينبغى على الفرد حتى يتحقق له هذه المرحلة ، وحتى يمكنه الانتقال إلى المرحلة التالية ، أن يدرك أن منافع التغيير أكثر من عيوبه ، وأن دافعيته للتغيير ستؤدى بالفعل إلى إحداث هذا التغيير ، ومن ثم يواصل التقدم [٥١] ، وتستمر هذه المرحلة مدة ستة شهور أيضاً.

- مرحلة الإعداد Preparation stage

المرحلة الثالثة هى مرحلة التجهيز والإعداد. فبعد أن تتكون لدى الفرد دافعية للتغيير ، يبدأ الفرد بالتخطيط لاتخاذ قرارات بشأن التغيير خلال الأشهر القادمة ، ويكون قد اتخذ بالفعل خطوة فى اتجاه تغيير سلوكه ، ولكنه لم يكن قد تخلص كلية من السلوكيات التى تعرضه للخطر ، كما أنه غير قادر بشكل كامل على التقدم بخطوات واسعة نحو تعديل وتغيير سلوكه . وفى هذه المرحلة يظهر على الأفراد مظاهر التوتر والقلق من عدم قدرتهم على إحداث التغيير المطلوب ، كما تظهر عليهم مشاعر الخوف من المستقبل . ويتحرك الفرد نحو المرحلة التاليـــة إذا ما شعر بأنه اختار الخطة الملائمة ، وشعر بالثقة فى قدرته على تنفيذ هذه الخطة بخطوات ثابتة [٥٢] .

- مرحلة الفعل action stage

يكون الأفراد فى هذه المرحلة قادرين على بذل جهود لتعديل سلوكهم وخبراتهم والبيئة التى يعيشون فيها، وأن باستطاعتهم التغلب على المشكلات التى يعانون منها. والتخلص من مشاعر العجز التى قد تشعرهم بعدم القدرة على التغيير. وتتطلب هذه المرحلة قدراً من الالتزام بالوقت وبالمهام المطلوب تحقيقها فى زمن محدد ، كما تتطلب طاقة وقدرة لتنفيذ هذه المهام والإصرار على مواصلة تنفيذها [٥٣] .

ويبدأ الفرد فى هذه المرحلة الشعور باعتراف الآخرين به كشخص قادر على تغيير أحواله وسلوكه نحو الأفضل ، ويتلقى الثناء من الآخرين على ما قام به من جهد فى هذا الاتجاه . وبالتالى ، فإن الباحثين فى تعديل السلوك يؤكدون على ضرورة الاهتمام وتقديم التعزيز للأفراد على سلوكيات التغيير التى قاموا بها، مع تأكيدهم بأن هناك شروطا محددة لتقديم التعزيز ، أهمها أن هذا السلوك يعد محاولة جيدة لحل السلوك المشكل ، وأنه من الواضح بالفعل قيام الأفراد بسلوكيات جديدة مقبولة اجتماعياً لم تكن موجودة من قبل [٥٤] .

شكل رقم (١)

النموذج التكاملى فى تعديل سلوك العشوائيات

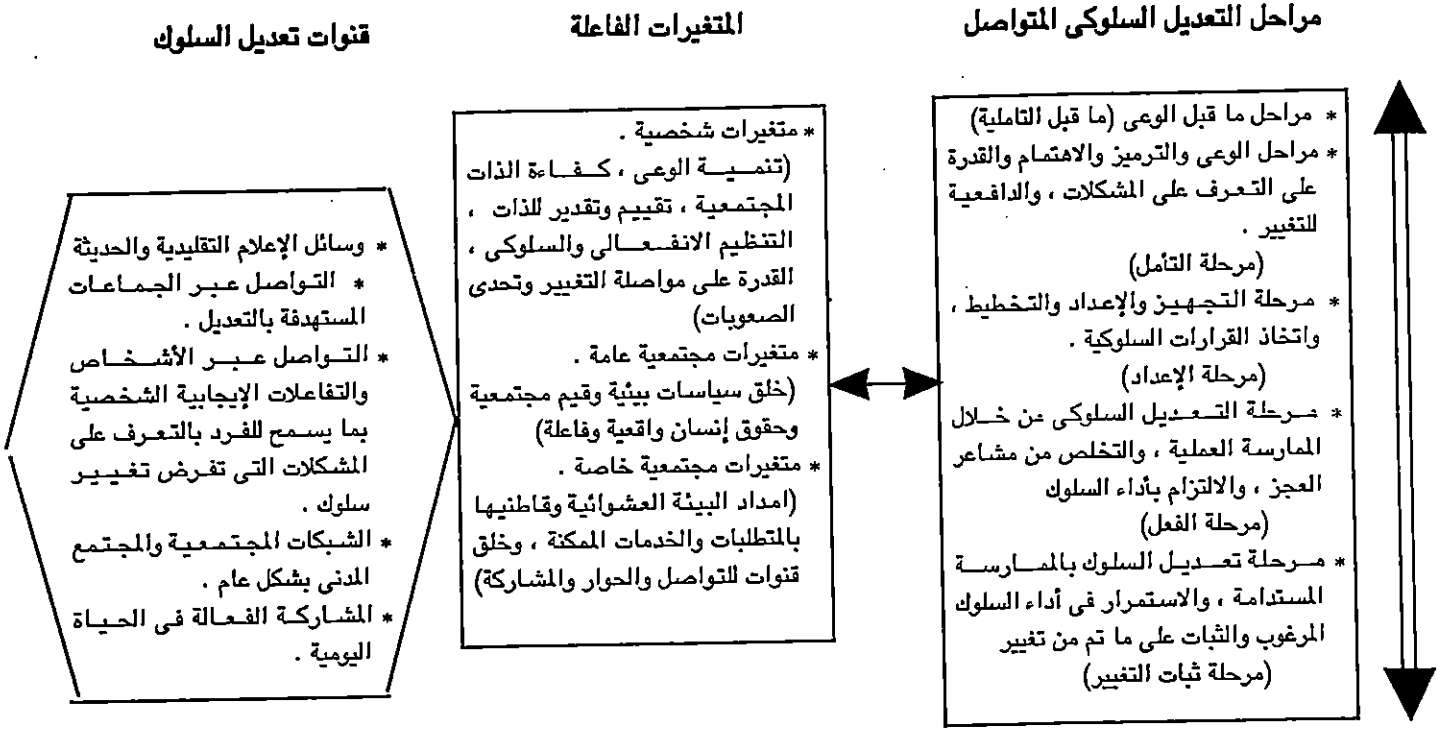

ويتحرك الفرد نحو المرحلة التالية والأخيرة عندما يرى بنفسه بعض المؤشرات على تحسن الأوضاع ، وشعوره بالرضا عن نفسه ، وبثقة الآخرين فى تصرفاته ، ويحصل على التعزيز – الاستحسان من الآخرين ، فتظهر عليه حالة من المشاعر الإيجابية [٥٥] .

• مرحلة استمرارية وثبات التغيير Maintenance stage

ويعمل الفرد فى هذه المرحلة على استمرار مواصلة التغيير ، والثبات على ما حققه من مكاسب خلال المراحل السابقة . ويشعر الفرد هنا بأنه أصبح أكثر قدرة على التغلب على العقبات ، وأكثر ثقة فى قدرته على الاستمرار فى التحسن والتطور ، والقدرة على تغيير البيئة المحيطة وإحلال بيئة أكثر تحقيقاً لما يتمناه ويرغب فى الوصول إليه ، كما أنه يشعر بقدرته على المشاركة الإيجابية والفعالة فى الظروف المحيطة به [٥٦] .

وتؤكد البحوث على أن مرحلة استمرارية وثبات التغيير هى استمرار لعملية التغيير وليس نهاية لهذه العملية .

وعلى أية حال ، فالتغيير السلوكى يحدث من خلال مقياس يضعه القائم بالتغيير والتعديل ، ويجيب عليه الفرد (بنعم أو لا) ، ويعكس هذا المقياس مقدار السلوك الحالى الذى يقوم به الشخص ، والمحاولات السابقة للتغيير، والنوايا المستقبلية .

ب – عمليات تغيير وتعديل السلوك

يُوصف سلوك الأفراد بالتغيير أو التطوير أو التعديل عندما تحدث تحولات إيجابية فى اتجاهات ونوايا وأوضاع وسلوكيات الأفراد . وحتى يتسم التغيير بهذا الشكل هناك مجموعة من العمليات أو الميكانزمات التى يقوم بها الباحث لتحقيق تغيير فى سلوك الأفراد. وقد أشار الباحثون إلى إمكانية النظر فى عشر عمليات تعد فى الغالب أهم العمليات التى تسهم فى تغيير سلوك الأفراد ، وهذه

العمليات لها مضامين معرفية (ضمنية) وأخرى سلوكية (ظاهرة) ، كما أن هناك مجموعة من الأنشطة التى لابد من القيام بها لحدوث التغيير. وأكد الباحثون أن هذه العمليات العشر يتم توزيعها عبر المراحل الخمس لتغيير السلوك ، مع الأخذ فى الاعتبار أن العمليات الخمس الأولى تتم فى المراحل المبكرة وتوصف بأنها تجريبية Experimental ، والعمليات الخمس الأخيرة تقدم فى المراحل المتأخرة وتسمى بالعمليات السلوكية Behaviour processes ، ويوضح الجدول التالى هذه العمليات والمراحل التى تقوم فيها[٥٧].

الجدول رقم (١)

مراحل التغيير وعمليات التغيير

التى يجب التركيز عليها فى كل مرحلة

مراحل التغيير	قبل التأملية	التأملية	الإعداد	الفعل	الاستمرارية
عمليات التغيير	زيادة تغيير درامى إعادة تقييم	الوعى البيئة إعادة تقييم	الذات تحرير الذات	التنظيم علاقات ظروف ضبط	المتجانس المساعدة متضادة المنبهات

يوضح الجدول السابق أننا إزاء مجموعة من العمليات تسهم فى تعديل السلوك نوضحها فيما يلى :

- **زيادة الوعى** Consciousness raising

وهى العملية التى تهدف إلى زيادة وعى الأفراد حول نواتج السلوك الإيجابية والسلبية ، وطرق التعامل مع السلوك المشكل . ويتم ذلك من خلال مجموعة من العمليات الفرعية ، مثل : العائد Feedback ، والتعليم Education ، والموازنة Confrontation ، والإسهام أو التدخل Interpretation ، والحملات الإعلامية .

- **التحسن الدرامى** Dramatic releif

وعملية التحسن الدرامى هى العملية التى بمقتضاها يتعرض الأفراد لخبرات انفعالية تشعرهم بالوضع السيئ الذى يعيشون فيه ، وتسمح لهم فى الوقت نفسه بالتعبير عن انفعالاتهم من خلال السيكودراما، ولعب الدور ، ومشاعر الأسى [٥٨] .

إعادة التقويم الذاتى Self Reevaluation

وتعنى هذه العملية التقدير المعرفى والوجدانى لصورة الفرد عن نفسه ، وآراء ومعتقدات الفرد عن ذاته وعن المشكلات التى يعانى منها، والطرق والأساليب التى تمكنه من التخلص من التقدير السلبى للذات وتخلصه من مشاعر الذنب تجاه سلوكيات بعينها. ويطلق البعض على هذه العملية مفهوم " كفاءة الذات" أو معتقدات "كفاءة الذات"[٥٩] .

- **إعادة تقويم البيئة** Environmental reevaluation

وعملية إعادة التقدير البيئى هى تقدير الأفراد لكيفية ظهور أو غياب نواتج السلوك المشكل فى بيئتهم الاجتماعية . وتتضمن إعادة تقييم البيئة الوعى بالوظائف الفردية والجماعية فى المجتمع[٦٠] .

- **تحرير الذات** Self liberation

ويعنى اعتقاد الفرد بإمكانية التغيير ، والتزامه باتخاذ مواقف فعلية تجاه هذا الاعتقاد [٦١] .

- **التحرير الاجتماعى** Social liberation

التحرير الاجتماعى هو الحاجة لزيادة الفرص أو البدائل السلوكية لحل المشكلات داخل المجتمع ، بحيث يقدم المجتمع بشكل عام أساليب وحلول متعددة (بدائل للسلوك) أمام الأفراد ؛ مما يتيح للأفراد اختيار البدائل التى تلائم قدراتهم وتشبع احتياجاتهم [٦٢] .

- **الظروف المضادة** Counter Conditions

ويتطلب التشريط المضاد أن يتعلم الفرد السلوكيات الصحية الملائمة للسلوك المشكل بمقارنتهم بالسلوك السلبى .

- **ضبط التنبيهات** Stimulus control

وهى العملية التى تمكن الفرد من التعرف على التنبيهات المرتبطة بالسلوك المشكل ، وإحلال سلوكيات صحية بديلة .

- **التنظيم المتجانس** Contingency management

يمدنا التنظيم المتجانس بالنواتج السلوكية التى تجعل الفرد مشاركاً فى تعديل السلوك المشكل أو تجنبه . ويستخدم العقاب مع التنظيم المتجانس ، كما تستخدم المكافآت باعتبارها معززات للسلوك الإيجابى [٦٣] .

- **علاقات المساعدة** Helping relationships

وتتضمن علاقات المساعدة مساعدة الفرد لكى يثق بهؤلاء الأفراد الذى يحاولون تعديل المشكلات السلوكية البيئية لدى هؤلاء الأفراد [٦٤] .

ويتضح من الشكل السابق (شكل رقم ١) أن ثمة متطلبات أساسية ينبغى التأكيد عليها حتى يتم تعديل السلوك بنجاح ، وهذا ما سنعرض له فيما يلى :

جـ – المتطلبات العلمية لتعديل السلوك فى المناطق العشوائية

إن إحداث تغييرات جوهرية فى سلوك المجتمع تجاه بعض المسائل المهمة والتى تلمس حياته اليومية ومعاشه وأسلوب حياته تتطلب استخدام أكثر من استراتيجية وسياسة لتغيير وتطوير وتنمية هذا السلوك . فإذا كان الهدف من التنمية هو إحداث تغييرات نوعية وكمية فى سلوك البشر ، فإنه من المفيد أن نؤكد على أن خلف كل سلوك فكرة ما ، وتعديل السلوك يتم عن طريق إحداث تغييرات فى الأفكار التى تُنتج السلوك ، ودوافع هذا السلوك ومبرراته ثم وضع الخطط المناسبة لتحسين قدرتهم على تخيل أوضاعهم الجديدة وفوائدها، من خلال زيادة معرفتهم ووعيهم ورغبتهم فى إحداث تغييرات جديدة .

ومن ثم ، لا يمكن تعديل السلوك فى المناطق العشوائية ، أو فى أى وحدة من الوحدات العمرانية فى المجتمع إلا إذا توافرت لدى القائمين على هذا التعديل قاعدة بيانات واضحة ووافية حول هذه المناطق ، وتاريخها ، والخصائص الاجتماعية والديموجرافية لسكانها، وطبيعة المشكلات المنتشرة فى أرجائها، ومظاهر السلوكيات السلبية التى تستوجب التغيير ، وتوقعات الأفراد من إجراءات التغيير المزمع القيام بها ، والصعوبات والمعوقات التى تعوق تعديل سلوكيات البشر فى هذه المناطق ، بالإضافة إلى ضرورة التعرف على نواتج الفعل (مترتبات تعديل السلوك) ، والقنوات التى يمكن أن تساهم فى عملية تعديل وتغيير السلوك . ويوضح الشكل رقم (٢) المتطلبات العلمية والعملية التى ينبغى مراعاتها لإجراء عمليات تعديل السلوك فى المناطق العشوائية .

شكل رقم (٢)

المتطلبات العلمية والعملية لتعديل سلوك سكان المناطق العشوائية

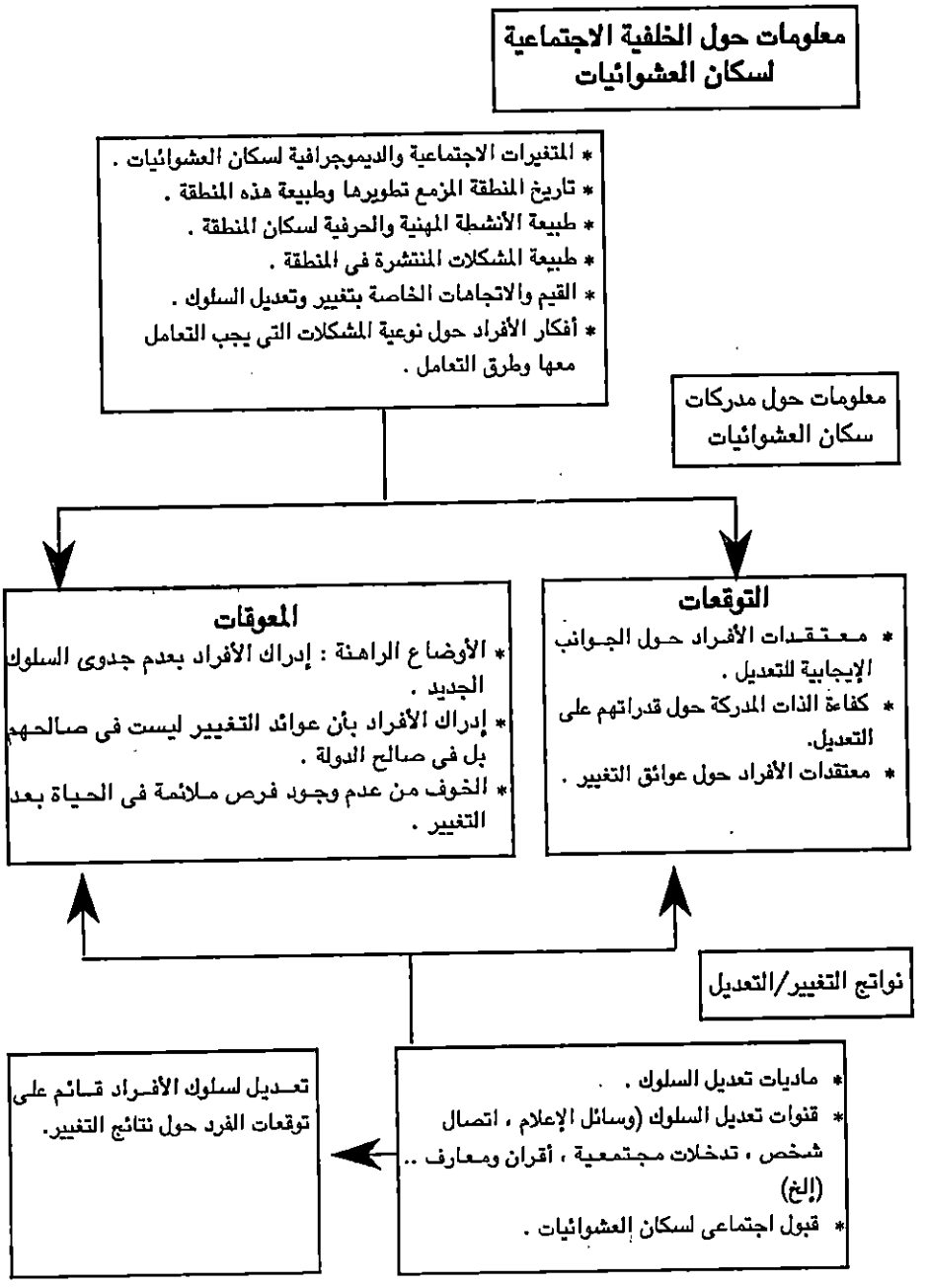

ونحاول فيما يلى أن نقدم تصوراً حول طبيعة الموضوعات التى يجب أن تغطيها القاعدة العلمية التى يجب أن ترتكز عليها أى محاولة لتعديل سلوك ساكنى العشوائيات :

١ - تاريخ المنطقة العشوائية ، وظروف نشأتها، وطبيعتها، وخصائصها الاجتماعية والاقتصادية .

٢ - الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية لسكان المنطقة العشوائية (السن ، النوع ، التعليم ، الدخل ، المهنة ، الديانة ، الطبقة الاجتماعية ... إلخ) .

٣ - طبيعة المشكلات المنتشرة فى المنطقة .

٤ - مظاهر السلوك السلبية التى ينبغى تعديلها ، ومظاهر السلوك الإيجابية التى يجب تعزيزها.

٥ - دوافع الأفراد فى المناطق العشوائية لاستمرار الأوضاع الراهنة ، ودوافعهم حول ضرورة تعديل السلوك .

٦ - أنساق القيم والاتجاهات المرتبطة بالتنمية لدى الأفراد .

٧ - القنوات التى يمكن أن تسهم فى تعديل السلوك [وسائل الإعلام ، جمعيات أهلية ، الاتصالات الشخصية ، المحليات ، الأشخاص المؤثرون فى الأفراد (القدوة) ... إلخ] .

٨ - تحديد العقبات أو الحواجز التى يمكن أن تحد من تعديل السلوك .

٩ - النواتج المتوقعة من إحداث التغيير والتعديل فى السلوك .

١٠- الطرق التى يمكن أن تقدم بها التعزيزات للسلوكيات الإيجابية ، والعقوبات التى يمكن فرضها على السلوكيات السلبية .

وينبغى فى النهاية الإشارة إلى مجموعة من المبادئ الأساسية التى يجب وضعها فى الاعتبار عند القيام بتعديل سلوك سكان العشوائيات ، وهى :

١ - ينبغى أن يدرك القائمون بتعديل السلوك أن تعديل سلوك هؤلاء الأفراد

(سكان العشوائيات) لا يعنى بأى حال من الأحوال أنهم أقل من الآخرين أو أنهم من نوعية مختلفة عن البشر الآخرين ، بمعنى القبول الاجتماعى لهؤلاء الأفراد .

٢ - ضرورة أن يشعر الأفراد بأن أى تدخل لتعديل سلوكهم هو نتيجة لرغبة صادقة وأمينة فى تحسين ظروف حياتهم والارتقاء بهم نحو الأحسن والأفضل .

٣ - ضرورة أن يشعر قاطنو العشوائيات بدعم ومساندة من جميع الأفراد المحيطين بهم ، وفى مقدمتهم الدولة التى ينتمون إليها وأجهزتها المختلفة .

٤ - تنمية أفكار العاملين فى مجال تعديل السلوك وتغييره بأهمية الوصول إلى الدوافع الحقيقية لدى ساكنى العشوائيات ، وكيفية ترسيخ دوافع داخلية لديهم .

٥ - تنمية الفكر التنموى بشكل عام من خلال التعرف على الجماعات المستهدفة بتغيير وتعديل السلوك ، وماذا يحتاجون ؟ وما يعرفون ؟ وما تصوراتهم حول التنمية البشرية ؟

٦ - ضرورة أن نضع فى اعتبارنا أن إتاحة معلومات لقاطنى العشوائيات حول سلبيات أوضاعهم الراهنة لا يعنى على الإطلاق أن يقوموا بتعديل سلوكهم . فليس هناك علاقة سببية بين إمداد الأفراد بالمعلومات وتغيير السلوك ، وربما يرجع ذلك إلى أن الأفراد قد يهملون أى معلومات لا تتوافق مع اتجاهاتهم وقيمهم ومعتقداتهم ، كما أنهم قد يهملون المعلومات غير المرتبطة بواقعهم وظروف حياتهم [٦٥] .

٧ - ضرورة التأكيد على أن التغيرات الصغيرة سوف تفضى فى النهاية إلى إحداث تغييرات كبيرة . وأن التغيير لا يحدث مرة واحدة ولكن يحدث على مراحل ، وأن كل الأفراد لا يتغيرون بنفس المعدل بل هناك فروق فردية بين الأفراد ، فالذى أقبله قد لا يقبله غيرى [٦٦] .

٨ – إن تغيير اتجاهات الأفراد لا يعنى بالضرورة تغيير سلوكهم، ولكن تغيير الاتجاهات مرحلة أولية من مراحل تعديل السلوك.

٩ – يتأثر الأفراد أكثر بالأفراد القريبين منهم (الأصدقاء ، المعارف ، الجيران) أكثر من تأثرهم بالغرباء عنهم . كما أن الأفراد يتأثرون بالمواقف التى تمس انفعالاتهم (أى التى تخاطب وجدانهم قبل التى تخاطب عقولهم).

المراجع

١ – الكردى ، محمود ، *التحضر : دراسة اجتماعية* ، قطر ، دار قطر للفجاءة ، ١٩٨٤ ، ص ص ٣٥ – ٤٠ .

٢ – انظر: محمد عطية ، إيمان ، *أثر التلوث البصرى على البيئة العمرانية* ، بحث منشور فى المؤتمر المعمارى الدولى الخامس بجامعة أسيوط " العمران والبيئة" ٢٠٠٣ .

٣ – الحسينى ، السيد ، وآخرون ، *القطاع غير الرسمى فى حضر مصر ، التقرير الأول ، المداخل النظرية والمنهجية والتحليلية*، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٩٦ ، ص ٣٢٥ .

٤ – مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء ، تقرير العشوائيات ، ٢٠٠٧ .

٥ – الكردى ، محمود ، وآخرون ، *المسح الاجتماعى الاقتصادى : تطوير منطقة تلال زينهم وقلعة الكبش*، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠٠٠ ، ص ص١٦٣–١٧١ .

٦ – الكردى ، محمود ، وآخرون ، *مسح اجتماعى لمنطقة عشوائية : منطقة الحرفيين* ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وزارة التأمينات والشئون الاجتماعية ، محافظة الجيزة ، ١٩٩٩ ، ص ١٣٩ .

٧ – انظر : المحيس ، عبد الله ، وعمر خطاب ، *تحليل دراسة مظاهر مشكلة العشوائيات فى الكويت* ، المؤتمر العاشر لمنظمة المدن العربية ٢٠– ٢٢ إبريل ١٩٩٨ ، المعهد العربى لإنماء المدن ، الرياض ، ١٩٩٨ .

٨ – البطران ، عايدة ، *الإسكان العشوائى فى مصر الحلول والبدائل المقترحة لحل مشكلة أمن العشوائيات* ، ورقة بحث قدمت فى المؤتمر ٢٥ ، القاهرة ، المركز الديموجرافى ، ١٩٩٥ .

٩ – انظر : النعيم ، عبد الله العلى ، *الأحياء العشوائية وانعكاساتها الأمنية ، ندوة الانعكاسات الأمنية وقضايا السكان والتنمية* ، المركز الديموجرافى ، القاهرة ، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٤ .

١٠– الجوهرى ، هناء ، *ثقافة التحايل دراسة ميدانية لنماذج من التجمعات العشوائية بالقاهرة*

الكبرى ، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ص ٣٦-٧٢ .

١١- انظر القانون المصرى ، قانون التخطيط العمرانى لعام ١٩٨٢ .

١٢- حسين أبو الهيجاء ، أحمد ، *نحو استراتيجية شمولية لمعالجة السكن العشوائى ، الأردن : حالة دراسية ، مجلة الجامعة الإسلامية* ، مج ٩ (١) ، ٢٠٠١ ، ص ص ٩- ٥٨ .

١٣- انظر : علام ، أحمد خالد ، ومحمد إبراهيم قشوة ، *قوانين التخطيط العمرانى وتنظيم المبانى*، القاهرة : دار الحكيم للطباعة ، ١٩٩٥ .

١٤- انظر : عبد الناصر أحمد ، كامل ، *النمو العمرانى العشوائى بصعيد مصر : دراسة تطبيقية على مدينة أسيوط* ، بحث منشور فى المؤتمر المعمارى الدولى الأول بجامعة أسيوط التنمية العمرانية فى صعيد مصر ، ١٩٩٣ .

١٥- انظر : الحسينى ، السيد ، الملامح العريضة للمدن المصرية ، أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

١٦- محرم ، ليلى أحمد ، *مؤشرات ومظاهر النمو العشوائى للمجتمعات العمرانية* ، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة حماية البيئة والسكن القانونى ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

١٧- انظر : النيال ، هبة ، *العشوائيات وظروف نشأتها فى : الطفل فى المناطق العشوائية*، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - برنامج بحوث العشوائيات ، ١٩٩٨ ، ص ٤٨ .

١٨- انظر :

- حسين أبو الهيجاء ، أحمد ، مرجع سابق .

- الكردى ، محمود ، وآخرون ، مسح اجتماعى لمنطقة عشوائية : منطقة الحرفيين ، مرجع سابق .

- الكردى ، محمود ، وآخرون ، المسح الاجتماعى الاقتصادى : تطوير منطقة تلال زينهم وقلعة الكبش ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٢-١٧٣ .

١٩- انظر : البدانية ، ذياب ، *التحضر والجريمة فى المجتمع العربى* ، ورقة عمل مقدمة من خلال وقائع ندوة المدينة والسكن العشوائى ، المغرب ، مكناس ، ٢٠٠٠ .

٢٠- يوسف ، ناهد ، وناجى الجريتلى ، *دور القوانين والمخططات فى الحد من العشوائية*، ورقة عمل مقدمة من خلال وقائع ندوة المدينة والسكن العشوائى" المغرب ، مكناس ، ١٩٩٨ ، ص ص ٢٨٤-٢٨٥ .

٢١- انظر : الحلبى ، كمال ، ومحمد الوتار، *التنمية المستدامة مدخل للحفاظ على البيئة العمرانية*، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر "المبادرات والإبداع التنمية فى المدينة العربية" ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، البتراء ، العقبة ، ١٤- ١٧ كانون الثانى ، ٢٠٠٨ ، ص .

٢٢- إبراهيم ، عبد الباقى ، *الارتقاء بالبنية العمرانية للمدن* ، القاهرة : مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، مطابع دار الشروق ، ١٩٨٦، ص ١٨ .

٢٣- انظر : محمد نظمى ، نعمان ، *إعادة تأهيل المدن الكبرى - مدخل إلى التنمية الحضرية المستدامة* ، بحث منشور فى مؤتمر الانتربيلد ، ٢٠٠١ ، ص .

٢٤- انظر : ريحان ، محمد ريحان ، وغادة محمد ريحان ، *دور المجتمع فى تحقيق التنمية العمرانية المستدامة* - التمكين المستدام كمدخل دراسة لإحدى التجارب العالمية فى تنمية البنية العمرانية ، ورقة مقدمة إلى ندوة *(المبادرات والإبداع التنموى فى المدينة العربية)*، المملكة الأردنية الهاشمية : عمان ، العقبة ، ١٤- ١٧ كانون الثانى ، ٢٠٠٨ .

٢٥ - انظر :

- الكردى ، محمود فهمى ، *تأثير أنماط العمران على تشكيل بعض عناصر الثقافة الشعبية : دراسة ميدانية لسياقات اجتماعية متباينة بمصر* (الكتاب السادس) . القاهرة : مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ص ٩٩-١٠١ .

- بطرس ، أشرف كامل ، *فى الثقافة والعمران : منهج لرصد العلاقة التبادلية مع ذكر خاص لصعيد مصر* . رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الهندسة المعمارية ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ص ٢٥-٣٠ .

٢٦ - Nabeel, H. (1995) . *Housing Without Houses, Participations Flexibility and Ena blement*: Intermediate Technology publications, London. p. 88.

٢٧ - Khaled, M. (1995). *Community Enablement Approach for Egyptian Urban local communities*, (MA) United Kingdom: University of New Cosile Upon Tyne, pp. 247-249.

٢٨- انظر : ريحان ، محمد ريحان ، *تنمية المجتمعات الجديدة . التمكين كأداة فاعلة فى عمليات التنمية الحضرية المستدامة* ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٢٩- انظر :

- خطاب ، على ، *المناطق المتخلفة عمرانياً وتطويرها* ، القاهرة ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ .

- سليمان ، أحمد ، *كفاءة التدخل الحكومى فى مناطق الإسكان غير الرسمى فى مصر*. ورقة عمل مقدمة من خلال وقائع ندوة المدينة والسكن العشوائى ، المغرب ، مكناس ، ١٩٩٨ .

٣٠- انظر : حسين أبو الهجاء ، أحمد ، مرجع سابق .

٣١- انظر : خالد علام ، أحمد ، ومحمد إبراهيم قشوة ، مرجع سابق .

٣٢- عطا الله ، هانى ، *منهج الارتقاء وتطوير المناطق السكنية العشوائية المتاخمة المدن* ، ورقة عمل مقدمة من خلال وقائع ندوة المدينة والسكن العشوائى ، المغرب ، مكناس ، ١٩٩٨ ، ص ٦١ .

٣٣- انظر :

- زايد ، أحمد ، *تناقضات الحداثة فى مصر*، القاهرة : مكتبة الأسرة (القراءة للجميع) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦ ، ص ص ١٣٣- ١٣٦ .

- صن ، امارتيا ، *التنمية حرية*، ترجمة شوقى جلال ، الكويت ، *عالم المعرفة* ، *العدد* ٣٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ص ٩ .

٣٤ - الكردى ، محمود ، وآخرون ، **المسح الاجتماعى الاقتصادى** : تطوير منطقة تلال زينهم وقلعة الكبش ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٢-١٧٣ .

٣٥- صن ، امارتيا ، مرجع سابق ، ص ٩ .

٣٦ - Prochaska. J., DiClemente. C., Norcross J. (1992). *In Search of how People change: applications to addictive* behaviour. *American Psychologist, 47 (9),* pp. 1002-1114.

٣٧- انظر: الخطيب ، جمال ، *تعديل السلوك الإنسانى* ، عمان ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ .

٣٨ - انظر :

Prochaska. J. O. and DiClemente, C. C. (1992), *Stages of Change and the modification of problem behaviours.* In M. Hersen R. M. Eisler and P. M. Miller (Eds) *Progress in behaviour modification.* Sycamore: Sycamore Press.

- درويش أبو عطية ، سهام ، *مبادئ الإرشاد النفسى*، عمان ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٧ .

٣٩ - انظر :

Cooper, J. O., Heron, T. E & Heward W. J. (1987) *Applied behavior analysis Columbus* Ott: Merrill Oldenburg, B., Glanz, K. and French, M. (1999) the application of staging models to the understanding of health behaviour change and the promotion of health. *Psychology and Health.* 1999, *Vol. 14,* pp. 503-516.

- محمد الخطيب ، جمال ، تعديل السلوك الإنسانى ، دليل العاملين فى المجالات التربوية والنفسية والاجتماعية ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ .

٤٠- انظر : أبو حميدان ، يوسف ، تعديل *السلوك : النظرية والتطبيق* ، عمان ، دار المدى للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ .

٤١- الروسان ، فاروق ، ، *تعديل وبناء السلوك الإنسانى* ، عمان ، جمعية عمال المطابع الأردنية ، ٢٠٠٠ .

٤٢- انظر : إبراهيم ، عبد الستار ، *العلاج السلوكى للطفل : أساليبه ونماذج من حالاته* ، الكويت ، *عالم المعرفة* ، *العدد* ١٨٠ ، ١٩٩٣ .

Jenio, j. Andlysis of Transthearetial Model of behaviour change. journal of student Research, 2008, vol. 53 (4). pp. 73-86. -٤٣

Fallon, E & Hausenblas, H. Transtheotical model: Is lermination applicable to exercise? American Journal of Health studies , 2004, 19(1), 35-44. -٤٤

Marshall, S. & Biddle, S.. *The Transtheoretical model of behavi change: Ametanalysis of applications to physical activity and exercise. Annals of behavioral medicine, 2001, 23 (4)*, pp. 229-246. -٤٥

Velicer, W., Prochaska, J., Fava, J., Norman, G., & Redding, C. *Smoking cessation and stress management: Applications of the Transtheoretical Model of behavior change. Homestasis*, 38,pp. 216- 233. Retrieved November 11, 2004, from http://www.uri.edu/research/cprc/TTM/detail.doverview.htm -٤٦ انظر :

Scholl, R. *The transtheoretical model of behaviour hange.*Retreived November 2002, September 15. 11,2004, from http://wwwcba uri.edu/Scholnotes/TTM.html -٤٧

Patten, S., Vollman, A., & Thurston, W. *The Utility of the Transtheoretical Model of behavior change for HIV risk reduction in injection drug users Journal of the Association of Nurses in AIDS Care,* 2000, *11 (1)*, 57- 66. -٤٨

School, R 2000, op. cit. -٤٩

Prochaska, J., & Velicer, W. *The Transtheoretical model of health behavior change . American Journal of Health Promotion,* 1997, 12 (1), 38- 48. -٥٠

Patten, S., Vollman, A., & Thurston, W. 2000, op. cit. -٥١

School, R 2002, op. cit.

Velicer, et. al., 1998, op. cit. -٥٢

Patten, et al, 2000 op. cit. -٥٣ انظر :

Prochaska & Vilicer 1997 op. cit.

Velicer, et al ., 1998, op. cit. -٥٤

School, R 2002, op. cit. -٥٥

Patten, et al., 2000 op. cit. -٥٦ انظر :

Velicer, et al, 1998 op. cit.

Rodgers, W., Courneya, K., & Bayduza, A. *Examination of the Transtheoretical model and exercise in 3 Populations . American Journal of Health Behavior, 25 (1),* 33- 41. 2001. -٥٧

Prochaska & Velicer, 1997, op. cit. -٥٨ انظر :

Velicer, et al, 1998, op. cit. -٥٩

Velicer, et al., 1998, op. cit -٦٠

Patten, et al., 2000, op. cit. -٦١

-١٢ Prochaska & Velicer, 1997, op. cit.

-١٣ Patten, S., Vollman, A., & Thurston, W. 2000, op. cit.

-١٤ Velicer, et al ., 1998, op. cit.

-١٥ Jamiesson, D. & Vander Werf, K. *Cultural Barriers to behaviorChange: General recommendations and resources for state pollution prevention programs.* A report to the U.S. Environmental protection Agency under Grant XB19192-01-0, 1993.

-١٦ Annette Frahm, et al. *Changing Behavior: Insights and Applications. Washington* : Local Hazardous Waste Mangement Programin King County, 1996.

Abstract

BEHAVIOUR CHANGE AS AN APPROACH TO THE DEVELOPMENT OF SQUATTER AREAS

Samiha Nasr

This paper aims at reviewing different approachs of behaviour change and develop a suitable approach that can be relevant in developing squatter areas in Egypt.

The Paper emphasizes the idea that such approach might help improve the integration of the population of those areas in the wider society. Therefore an attempt was made to articulate the different strategies that can be used in behavior change and support positive aspects of behaviour among population.